



الفروق النظرية والتطبيقية بين نظرية التحليل النفسي وعلم النفس الإسلامي Theoretical and Applied Differences between Psychoanalysis theory and Islamic Psychology

د. تھاني ہاشم خلیل عابدین¹

¹ كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان، abdeentahani@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/06/01 تاريخ القبول: 2021/08/31 تاريخ النشر: 2021/09/30

Summary

The aim of this research is to know the most important theoretical and applied differences between psychoanalysis theory and Islamic psychology. The "interpretative critical" is curriculum used.

The most important results were that psychoanalysis theory does not agree with Islamic psychology in its vision of life, religion, human, behavior, his motives, also the rank of the human mind in relation to revelation, also contains concepts whose connotations contradict the principles of Islamic psychology. The research concluded that the applications of psychoanalysis theory in the field of psychological treatment and the educational field are completely different from the applications of Islamic psychology.

Keywords: Cross-Cultural Comparison, Islamic psychology, psychoanalysis theory, Sigmund Freud, Islamization.

الملخص

هدف هذا البحث إلى التعرف على أهم الفروق النظرية والتطبيقية بين نظرية التحليل النفسي وعلم النفس الإسلامي، استخدم المنهج "التفسيري النقدي" الذي يختص بتقييم الأفكار والآراء وتحليلها.

تمثلت أهم النتائج في أن المبادئ النظرية للتحليل النفسي لا تتفق مع علم النفس الإسلامي في رؤيته للحياة والدين والإنسان والسلوك ودوافع السلوك ومرتبة العقل البشري بالنسبة للوحي، كما تحتوي على مفاهيم نفسية تعارض دلالاتها مع مبادئ علم النفس الإسلامي، وتوصل البحث كذلك إلى أن تطبيقات نظرية التحليل النفسي في مجال العلاج النفسي والمجال التربوي تختلف كلياً عن تطبيقات علم النفس الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: المقارنة العابرة للثقافات، علم النفس الإسلامي، نظرية التحليل النفسي، سيغموند فرويد، الأسلمة.

* د. تھاني ہاشم خلیل عابدین: abdeentahani@yahoo.com



مقدمة:

تتعدى متطلبات صياغة تطور علم النفس مجرد سرد الأفكار النفسية التي تتعاقب في ظهورها وفقاً للترتيب الزمني؛ حيث أن المنهج العلمي الملائم لصياغة ذلك التطور وفقاً لطبيعة علم النفس هو ما يُصطلح عليه علمياً بـ "المنهج الجدلي"، والذي يرى أن حركة تطور علم النفس هي حركة صراع بين فكر وفكر آخر؛ تلك الأفكار التي تهدف جميعها إلى فهم السلوك البشري وتفسيره والتنبؤ به ومحاولة التحكم فيه، ليكون تاريخ الصراع بين تلك الأفكار بما تحويه من حدود فارقة هو المحدد لتطور هذا العلم.

تعتبر "الحرية الفردية" بمثابة الأصل المقرّر والركيزة الأساسية التي ينطلق منها عالم النفس حيال تلك المعارف والأفكار المتجددة؛ مُعتمداً على تحليل الأفكار والرؤى المختلفة ومقارنتها فيما بينها، وعند غياب مثل هذه المنظومة القائمة على كشف المفارقات الكامنة بين الرؤى المختلفة لتبني الآراء المفيدة التي يمكن أن تُوظف مهنيّاً ورفض الأفكار المعارضة لها كليّاً أو جزئياً؛ فإن البشرية ستظل تتوارث زُكاماً من الأخطاء المعرفية؛ فتتأخر وتراجع مع مرور الزمن بدلاً من أن تتطور وتزدهر.

يذهب العمارة (2009، ص: 11) إلى القول بأن «الانفتاح والاطلاع يختلفان تماماً عن الاستلاب والتقليد الأعمى دون مناقشة أو دراسة واعية»، ويضيف العلواني (1995، ص: 28، 29) «أن التعامل مع التراكم المعرفي للعلوم يجب أن يكون مُنهجاً؛ لكي يخرج العقل الملهم به من أساليب التعامل الحالية التي تخلّفت عن أطر ومحاولات المقاربات والمقارنات والمقابلات التي تنتهي بالرفض المطلق أو القبول المطلق بروح مستلبة تماماً، أو بروح الانتقاء العشوائي الذي لا تقوده منهجية منضبطة ولا قراءة



معرفية تبحث عن الحكمة بعيداً عن إطار التقليد والنقل وتدرك أثر الفوارق الحضارية والثقافية على المعرفة».

ينبغي للباحث المسلم وفقاً لما أكدّه الصبيح (2011، ص: 88) «أن يمتلك رؤية نقدية يميز من خلالها بين نظريات علم النفس ليحدّد ما يُقبل منها وما لا يُقبل»، وتجنّب الإشارة إلى أن النظريات النفسية تعتبر من أخطر المنتجات البشرية على مستوى الأفكار والتطبيقات؛ لكونها تُصدر أحكاماً على الإنسان وسلوكه ودوافعه وحياته ككل، وانطلاقاً مما تقدم يأتي هذا البحث مُستهدفاً وضع رؤية شمولية للمفارقات على مستوى التنظير والتطبيق بين نظرية التحليل النفسي وعلم النفس الإسلامي.

مشكلة البحث:

يذخر التراث المعرفي في مجال علم النفس بالتنظيرات الذاتية والشائكات الجدلية، وتبعاً لذلك يعتبر تقييمها والمفاضلة بينها بمثابة طوق النجاة الذي يحافظ على صفاء عقيدة النفساني المسلم وموضوعية فكره، ومما هو معروف في الأوساط العلمية النفسية ما يدور حول نظرية التحليل النفسي من جدل وخلاف واختلاف في وجهات النظر؛ بدرجة تستدعي كشف الحدود الفارقة بينها وبين مبادئ علم النفس الإسلامي تمهيداً للتعامل معها كما يجب، ومما تقدم يمكن تحديد مشكلة هذا البحث في الأسئلة التالية:

- ما هي الفروق في المنطلقات والمبادئ النظرية بين نظرية التحليل النفسي وعلم النفس الإسلامي؟

- ما هي الفروق التطبيقية بين نظرية التحليل النفسي وعلم النفس الإسلامي؟

أهمية البحث:

- دعم التوجّه الحديث لعلم النفس نحو إجراء البحوث المقارنة العابرة للثقافات.



- يعتبر تحديد موقع نظرية التحليل النفسي بالنسبة لعلم النفس الإسلامي بداية بديهية قبل تطبيقها في المجالات المهنية لعلم النفس بالمجتمع الإسلامي.
- المساهمة في حسم الازدواجية التي يعاني منها بعض علماء النفس المسلمين؛ نتيجة تقليدهم الأعمى للنظريات الوضعية الغربية دون الحكم عليها عبر مقارنتها مع مبادئ علم النفس الإسلامي.
- الاتجاه نحو إجراء البحوث النفسية التي تقوم على التمييز بين علم النفس بنهجه الغربي والإسلامي؛ كإضافة مهمة للفكر النفسي الإسلامي.

أهداف البحث:

- التعرف على الفروق في المنطلقات والمبادئ النظرية بين نظرية التحليل النفسي وعلم النفس الإسلامي.
- استكشاف الفروق التطبيقية بين نظرية التحليل النفسي وعلم النفس الإسلامي.

مصطلحات البحث:

1. نظرية التحليل النفسي: «هي مجموع النظريات التي توصل إليها سيغموند فرويد فيما يتعلق بتكوين نفس الإنسان، وذلك نتيجة للمعلومات التي تحصل عليها من العلاج التحليلي لمرضاه» (جلال، 2018، ص: 51).
2. علم النفس الإسلامي: يتمثل في الإنتاج الفكري لعلماء النفس المسلمين، والذي ينطلق من طريقة إدراك كل عالم لنصوص التشريع الإسلامي المتمثلة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.



منهج البحث:

تم إجراء هذا البحث بالاعتماد على المنهج البحثي الذي أُصطلح عليه علمياً بالمنهج "التفسيري النقدي"، والذي يقوم وفقاً لرؤية ماثيو جيدير في كتابه "منهجية البحث" بإصدار الأحكام على الآراء والأفكار لا الحقائق والظواهر.

1. الإطار النظري:

1.1: الفروق النظرية بين التحليل النفسي وعلم النفس الإسلامي:

1.1.1: حقيقة الدين ودوره في تحقيق الصحة النفسية:

تتناق الآراء الأيدولوجية والفلسفية لنظرية التحليل النفسي مع مبادئ علم النفس الإسلامي حول حقيقة الأديان بشكل كامل، وذلك انطلاقاً من عدم اعتراف مؤسسها سيغموند فرويد بالأديان من الأساس؛ حيث أنه يجعل العقل (Logos) بديلاً عن الإله، وقد خصّص كتابه (مستقبل وهم) لمهاجمة الدين ونفي دوره الإيجابي في حياة الناس وصحتهم النفسية، ومن آرائه أن الدين يعتبر مُسَكِّناً مشابهاً للمخدرات لمجابهة مصاعب الحياة، كما يعتبر أديان البشرية بمثابة هذيانات جماعية لتأمين السعادة بالاحتماء من الألم بواسطة "تشويه خرافي للواقع" على حسب تعبيره عن الدين، ويرى أن الدين لا يحقق السعادة التي يبتغيها الإنسان، كما يؤكد فرويد على أن الإنسان يمكن أن يحتل مشاق الحياة فقط عندما يقطع رجاءه بالغيب ويترك الأفكار الدينية التي يعتبرها أوهاماً؛ هذا ما جعل عدداً كبيراً من علماء علم النفس الإسلامي يصفون فلسفة نظرية التحليل النفسي (Psychoanalysis Theory) بالخطورة غير القابلة للاحتواء.



يمكن استنتاج آراء فرويد من كتابه (مستقبل وهم) لاستنتاج موقفه الرفض للدين؛ حين قال: «... المعتقدات الدينية، ولتساءل ما الأساس الذي تستند إليه مطالبتها إيانا بالتصديق والإيمان؟... فالمجتمع يعلم أي أساس واهن تقوم عليه مذهبه الدينية... ولهذا نتصدى بشعور في التشكيك يصعب علينا إسكاته... والأدلة التي تركوها لنا ميراثاً مدونة في نصوص يحيط بها في نفسها الشك فهذه النصوص تعج بالتناقضات والمراجعات والتدليسات ولا يمكن الوثوق إليها حتى عندما نتكلم عن وقائع ثابتة، أما ما تدعيه لنصها الحرفي، أو على الأقل لمؤاده وفحواه، من وحي إلهي، فليس بذو وزن كبير، إذ أن هذا التوكيد يشكل هو نفسه جزءاً من تلك المنظومة المذهبية المطلوب تمحيصها والتحقق منها، ولا يمكن لأي فرضية، كائن ما كانت، أن تبرهن على نفسها بنفسها... هكذا نصل إلى هذا الاستنتاج الغريب في نوعه: أن ذلك الجزء من ميراثنا الثقافي، الذي يمكن أن تكون له أعظم الأهمية بالنسبة إلينا، والذي من مهمته أن يفسر لنا الغاز الكون وأسراره وأن يؤلف بيننا وبين أوصاب الحياة، إن ذلك الجزء بالتحديد هو الذي يقوم على أقل الأدلة متانة وأكثر البراهين وهياً... إن هذا الوضع القائم هو في حد ذاته مشكلة سيكولوجية مثيرة للفضول الشديد... إذا كانت جميع الأدلة والبراهين التي تساق لتأكيد صحة المعتقدات الدينية تستقي من الماضي، فمن الطبيعي في الحالة هذه أن نلقي نظرة سريعة حولنا حتى نرى ألا يستطيع الحاضر، الذي يسهل علينا أن نصدر عليه حكماً قياساً إلى الماضي، أن يقدم هو أيضاً أدلة وبراهين مماثلة...» (فرويد، 1998، ص: 36، 37).

ربما تتشكل آراء فرويد في الفقرة السابقة كشواهد تبرهن على هدمه -دون أن يقصد- للأسس التي قامت عليها نظريته من أساسها، وذلك حينما تحدث عن



الأساس الواهن للأدلة، والتوكيد الذي يحتاج إلى تمحيص، واعترافه بأنه لا يمكن لأي فرضية كائن ما كانت أن تبرهن على نفسها بنفسها، وما نظرية فرويد -وفقاً لآراء معظم علماء النفس المعاصرين في الشرق والغرب- إلا مجموعة من الافتراضات الواهية والغامضة التي لا تتصف بالعلمية ولا حتى بأبسط صفات الموضوعية في التناول والطرح، كما يعتمد علاج فرويد التحليلي بشكل كامل على ماضي المرضى لاستخراج خبرات اللاشعور التي يعتبرها فرويد أسباباً للمرض النفسي؛ ذلك الماضي الذي انتقد هنا استقاء الأدلة الدينية منه داعياً إلى الاعتماد على الحاضر الذي يسهل علينا أن نصدر عليه حكماً قياسياً، وكل هذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن فرويد بالرغم من إدراكه الكامل بأهمية المنطق والموضوعية وإجراءات البحث العلمي الرصين؛ إلا أنه في بنائه لنظريته قد تناسى كل ذلك وقدم افتراضاته الذاتية كحقائق تتعالى فوق النقد ولا تتطلب منه البرهنة والتبرير المنطقي!، ومن السخرية أن يواصل فرويد في هذا الطرح الذي يؤكد معرفته بالعلم والمنهج العلمي والمنطق في الوقت الذي يبيّن فيه نظريته على الذاتية وعدم الموضوعية وإجراءات بعيدة عن المنهج العلمي؛ وهو لم يدرك أنه بحديثه هذا سيُشكك في مصداقية نظريته بنفسه دون أن يحقق مبتغاه الأيدولوجي نسبةً لضعف منطق الإقناعي؛ فالدين يمتلك من "قوة الإقناع العقلي" ما يُحرّك البشر إلى الإيمان به، كما يمدنا الواقع دوماً بإشارات مستمرة لا تنقطع عبر صيرورة الحياة تعزز الإيمان في قلوب المؤمنين وتقع غير المؤمنين من ذوي البصيرة للإيمان بالدين، وهذا ما تثبته النماذج الحية لاعتناق العديد من الكفار والمشرّكين الإسلام؛ نتيجة للأثر الذي تُحدثه تلك الإشارات المبنوثة غير المنقطعة في نفوسهم وعقولهم.



في المقابل يعتبر الدين وفقاً لرؤية علم النفس الإسلامي من أقدم أوجه نشاط العقل البشري وأوسعها شمولاً، كما أن للدين جانباً سيكولوجياً عظيم الأهمية لأنه يكشف عن شخصية الإنسان وطبيعته ومصيره، ويمتلك كذلك قوة التأثير في الذات البشرية، ويضيف رفاعي (2010، ص: 133) أنه «تستمر التقارير البحثية الحديثة بإمدادنا بأدلة كثيرة تؤيد وجود رابط بين ممارسة الشعائر الدينية والصحة النفسية، فقد ثبت أن كثير من العبادات لها تأثير وقائي للعديد من الأمراض العقلية والنفسية مما يؤدي إلى الراحة النفسية والبعد عن السلوك الانتحاري»، ومن العوامل المؤدية للإنسان إلى اللجوء إلى الدين حاجة العقل إلى معرفة الحقائق الكبرى في الوجود، وحاجته إلى الصحة النفسية والقوة الروحية، والحاجة الاجتماعية التي تتمثل في تحديد الدين للضوابط التي تحكم العلاقات، فضلاً عن الفاعلية المثبتة للعلاج النفسي الديني الذي يقوم بالاستفادة من الإمكانات الدينية ومن إيمان الفرد بالدين في العلاج النفسي.

بذلك يمكن تقرير أن علم النفس الإسلامي يقوم على الحقيقة التي تؤكد إيجابية الدين الإسلامي وأثره العميق في النفس البشرية كحاجة فطرية وكدافع لتوجيه السلوك، وهو على خلاف نظرية التحليل النفسي التي ترى أن الدين في حد ذاته وهم وأن التدنُّن شكل من أشكال الاضطراب النفسي.

2.1.1: مكانة العقل البشري:

وفقاً لفرويد (1998، ص: 5) فإنه يؤمن بـ "المبدأ العقلاني" الذي يقر بأنه «ليس ثمة سلطة تعلو فوق سلطة العقل، ولا حجة تسمو على حجته»؛ بتعبير آخر يمكن القول بأن نظرية التحليل النفسي تقوم على ذلك المبدأ العقلاني، وهو ما يتنافى كلياً مع رؤية علم النفس الإسلامي الذي يجعل الوحي في المقدمة؛ أما العقل فيتبعه في



الرُّتبة ويعتمد عليه، ويحق لنا التساؤل ها هنا حول مدى صحة المبدأ العقلاني لنظرية التحليل النفسي في ظل محدودية العقل؛ حيث يؤكد السيد (2008، ص: 62-66) على «محدودية العقل البشري لكونه يعتمد بشكل كلي على ما تنقله إليه الحواس وهو غير قادر على الخوض في مسائل لا تتوفر له عنها معلومات حسية كافية، كما يعتبر بنية يسهل خداعها عند تزويده بمعلومات خاطئة، وفي ظل هذه المحدودية فإن وظيفته الأصلية تعمل ضمن أطر ومسلمات كبرى يؤمنها الوحي بما يصوغه من أصول ومبادئ لترشيد حركة الإنسان وعلاقاته، وبالرغم من أن العقل البشري قد أبدع حلولاً لمشكلات كثيرة إلا أن إبداعات العقل أوجدت مشكلات أكثر تعقيداً عجز العقل عن إيجاد حلول لها».

من جانب آخر فإن «العقل البشري عاجز عن التنبؤ الدقيق بما يمكن أن يقع في المستقبل؛ حيث يظل التوقع دائماً في دائرة الظن أو الوهم، كما أن العقل يعتبر أكثر عُرضة لصناعة الخرافة وقبولها، فضلاً عن تعرضه للإرهاق والتعب والمرض» (السيد، 2008، ص: 62-66)، ورغم كل ذلك يحاول الملاحدون من أمثال سيغموند فرويد تحكيم العقل البشري في قضايا تفوق طاقته، حيث يُبنى التصور الإلحادي على إعطاء العقل والنتائج التي يتوصل إليها صفة الحقيقة المطلقة التي تفوق أي دين، ولا يعترف بمحدوديته تلك وتأثره بمؤثرات خارجية.

3.1.1: ما بين الشعور واللاشعور:

تقوم نظرية التحليل النفسي على مبدأ تحكُّم اللاشعور في النفس البشرية والسلوك الإنساني بشكل كامل، وهي بذلك تتعارض مع مبدأ علم النفس الإسلامي الذي يقرر حقيقة "حرية الإرادة" التي يتميز بها البشر عن بقية المخلوقات، والتي تتطلب



بالداهة أن يتحكم "الشعور" وليس "اللاشعور" في توجيه السلوك البشري، وربما يدعم الرؤية الإسلامية مجموعة من التوجهات الحديثة في هذا السياق؛ حيث يقول ميك كوبر (2015، ص: 87): «بناءً على الفلسفة الوجودية، فإن أحد الجوانب الرئيسة للتفكير في التحليل النفسي المرفوض بقوة من المحللين الوجوديين هو فكرة أن ماضي الكيانات البشرية يُحتم ويتسبب في أفكارهم ومشاعرهم وسلوكياتهم، ... بمعنى آخر، فإن منحى التحليل الوجودي لا يهتم في المقام الأول بمنشأ شعور الفرد بالكرب في مرحلة الطفولة، بل يهتم بوسائل "هنا والآن" للارتباط بالعالم، وإن هذا لا يعني أن المحللين الوجوديين يرفضون فكرة أن ماضي الفرد يتحكم في حاضره. والواقع أنهم مثل المحللين النفسيين يرون أن جذور مصادر معظم الصعوبات النفسية للفرد هي في خبرات الطفولة المبكرة. وتاريخ حياة الفرد من منظور التحليل الوجودي هو تاريخ "تكويني" Formative أكثر منه "حتمي" determinative».

4.1.1: المفاهيم النفسية:

توجد مجموعة من المفاهيم في نظرية التحليل النفسي تتناقض دلالاتها مع معايير ومبادئ علم النفس الإسلامي، ومنها الليبدو (Libido) الذي يشير إلى القوة الحيوية الغريزية التي تستمد طاقتها عبر مراحل النمو المختلفة من مناطق إثارة جنسية محددة وتشكل مفتاح فهم السلوك، باعتبار أن الحياة النفسية للطفل تقوم على وجود الميول الجنسية المنظمة في نفسه وجسمه مع أن الدراسات البيولوجية تنفي ذلك، فضلاً عن مفاهيم أخرى تتعارض بشكل كامل مع مبادئ الإسلام ذات الصلة بالعقيدة وشرعية، ويمكن إنهاء هذه الجزئية بمجموعة تساؤلات طرحها بدري (1989، ص: 41) حين قال: «ماذا يجب أن يكون اتجاه المسلم، أي مسلم تجاه هذه التأملات الفلسفية



الإلحادية التي نادى بها فرويد؟ هل يمكن لأخصائي النفس المسلم أن يدعي أنه مسلم حقاً عندما يشارك مشاركة جادة في النظريات الفرويدية. ليس فقط في مكوناتها عن الشخصية ومكوناتها لعلم النفس العلاجي ولكن في بعدها الآيدولوجي أيضاً؟».

5.1.1: طبيعة النفس البشرية:

يتناول أرنوط (2016، ص:50،51) «نظرة سيغموند فرويد الضيقة للذات الإنسانية؛ حيث أنه ينظر إلى الجهاز النفسي لدى الإنسان على أنه يتضمن الشعور واللاشعور؛ أي أنه يقوم بعمليتين نفسييتين هما اللاوعي أو (الهو) بغرائزها وعواطفها وحاجاتها الجسمية، والوعي الذي يتمثل كعملية ثانوية ترتبط بـ(الأنا) العقلانية، وهو بذلك يؤكد على جانبين في الإنسان هما العاطفة والعقل، ... ومن ثم فإن هناك فجوة في نظريته للذات الإنسانية بعدم استصحاب المكوّن الثالث للإنسان وهو المكوّن الروحي، والذي يؤكد عليه التصور الإسلامي للإنسان بشدة»، حيث يذكر رفاعي (2010، ص:251) «إن الوجهة الإسلامية في نظرية الشخصية تصر على فهم السلوك الإنساني بطبيعته المادية والروحية، وبالعلم البشري والوحي الإلهي، ... وستظل مختلفة مع النظريات التي تقبل الجانب البشري وحده؛ ليس لأن الوجهة الإسلامية لا تقر هذا الجانب بل لأنها لا تراه كافياً لفهم الإنسان وسلوكه وحقيقته ما فيه»، وفي ذات السياق يؤكد رجب (2009، ص:137) على «الدوافع الإيمانية؛ وهي الدوافع التي تنشأ عن التكوين الفطري (الروحي) للإنسان، وهي مغروسة بالفطرة، ... وهي محرك أساسي في سلوك الإنسان، ولا يتوقف عمل هذه الدوافع فهي دائمة العمل»

يذكر أحمد (2010، ص:59) وجه آخر للاختلاف بين التصور الإسلامي والتصور الفرويدي للإنسان؛ تتمثل في أن «نظرة فرويد للشخصية الإنسانية تتصف



بالتشاؤم والسلبية» على عكس التصور الإسلامي، ووفقاً لعثمان (2010)، ص:127) فإن «نظرية التحليل النفسي تؤكد على أن الإنسان عبارة عن شر محض»، وانطلاقاً من ذلك فإن نظرة الإسلام الإيجابية للإنسان تختلف كلياً مع نظرة التحليل النفسي السلبية له؛ فالتصور الإسلامي يرى أن الإنسان يحمل منابع الخير والشر؛ ويمتلك إرادة حرة لتوجيه نفسه نحو السلوك الخيّر أو الشرّير، ووفقاً لما ذكره الصبيح (2011، ص:83) فإن «الإنسان مأمور بممارسة السلوك الخيّر وإشباع حاجاته بالحلّال».

6.1.1: ديناميكية النفس البشرية:

وفقاً لرفاعي (2010، ص:38-42) فإن «أحوال النفس في القرآن الكريم ثلاث مستويات (النفس الأمانة بالسوء، النفس اللوامة، النفس المطمئنة)، وهذه المفاهيم تبدو في ظاهرها شبيهة بوجهة نظر فرويد الذي يرى أن الشخصية تتألف من ثلاث مكونات (الهو، الأنا، الأنا الأعلى)؛ لكن يوجد خلاف بين رؤية القرآن الكريم وأقسام النفس الثلاث لدى فرويد؛ فمفاهيم النفس الثلاث الواردة في القرآن عبارة عن "حالات مختلفة" تتصف بها النفس أثناء صراعها الداخلي بين الجانب المادي والجانب الروحي في شخصية الإنسان، وهي ليست "أقسام مختلفة" للنفس تتكون أثناء مراحل نمو معينة يمر بها الإنسان كما يعتقد فرويد».

تختلف رؤية نظرية التحليل النفسي عن رؤية علم النفس الإسلامي للكثير من السلوكيات التي تصدر عن النفس البشرية وتصف ديناميكيتها، ومنها على سبيل المثال السلوك الداخلي المتمثل في "الصراع"؛ حيث «ينشأ الصراع النفسي وفقاً لرؤية القرآن الكريم من الصراع بين الجانبين المادي والروحي وتتوقف حدته وقوته على قدرة الفرد



على حل ذلك الصراع، وقد أمدَّ الله تعالى الإنسان بإمكانات تساعد على حل الصراعات النفسية؛ كالعقل الذي يُميز به والإرادة الحرَّة التي تتيح القدرة على الاختيار، ... أما الصراع في التحليل النفسي يقع بين أقسام النفس الثلاث وينتج عن اختلافات توزيع الطاقة النفسية بينها، وغالباً ما يُجسم الصراع لصالح القسم الذي يحمل طاقة نفسية أعلى، وتنشأ معظم الصراعات النفسية في مراحل الطفولة حيث يتم كبتها؛ إلا أن آثارها قد تطفو على السطح بعد ذلك وتسبب أعراضاً مرضية» (رفاعي، 2010، ص: 98، 99).

2.2: الفروق التطبيقية بين نظرية التحليل النفسي وعلم النفس الإسلامي:

1.2.2: الفروق التطبيقية في مجال العلاج النفسي:

يُبنى العلاج النفسي في نظرية التحليل النفسي على الأساس القائل بأن قوى باطنية جبارة معظمها كامن في خبايا العقل الباطن هي التي تحدد سلوك الإنسان، والناس منذ طفولتهم المبكرة يكتبون أية رغبات أو حاجات غير مقبولة لديهم أو لدى المجتمع إلى العقل الباطن، وبإمكان تلك المشاعر المكبوتة خلق اضطرابات في الشخصية أو سلوك هدام للنفس أو حتى أعراض بدنية، ويحاول المعالجين وفق نظرية التحليل النفسي تحليل الأحلام باعتبارها انعكاساً للدوافع والنزعات اللاواعية، كما يقول فرويد بوجود حياة نفسية لا شعورية إلى جانب الحياة الشعورية تحرك سلوك الفرد وتوجهه، وأن الحياة اللاشعورية تكون سبباً في ظهور بعض الأمراض النفسية أو الاضطرابات العقلية.

يذكر جلال (2018، ص: 26) أن «وظيفة المحلل النفسي تكمن في تحديد تلك العناصر من تجارب المريض التي يتوقع أنها تُكوِّن أسس اضطرابه النفسي، وكلما



تبيّن عنصر منها يطلب المحلل النفسي من المريض أن يزيد في كلامه عن هذا العنصر بالذات، وهكذا حتى يصل إلى كشف العناصر الفعالة في حياة المريض لتعريفه بالجانب الخفي من حياته لتحسن حالته النفسية».

وفقاً لعابدين (2021، ص: 43 ، 44) يمكن القول بأن «أهداف العلاج النفسي وفق رؤية علم النفس الإسلامي أعمق وأطول أمداً من رؤية نظرية التحليل النفسي؛ لأن الإسلام يربط دائماً وبشكل متزامن الحياة الدنيا بالحياة الأخرى، كما أن مبدأ "المسئولية الفردية" الذي يقوم عليه العلاج النفسي الإسلامي يحقق حسن السرية وصفاء النفس ونقائها لتكوين شخصية تتمتع بصحة نفسية نابعة من الأعماق، كما يجعل هذا المبدأ للمريض النفسي دور إيجابي في العملية العلاجية، وفي ذات السياق فإن العلاج النفسي الإسلامي يركز اهتماماً كبيراً لتوجيه المريض النفسي لمقاومة وساوس الشيطان؛ باعتبارها من معيقات الصحة النفسية ومُسببات الانحراف السلوكي والاضطراب النفسي، كما أن استراتيجيات التأقلم الإسلامية فاعلة في التحكم بالنفس الإنسانية نمائياً ووقائياً وعلاجياً، ومن جانب آخر يقوم العلاج النفسي الإسلامي على "التعزيز الروحي" للجوانب النفسية الإيجابية والسلوك القويم؛ ف"الحافز الروحي" في العلاج النفسي الإسلامي ينبع من رغبة في الثواب وخوف من العقاب وطمع في رضا الله تعالى خلافاً للحوافز المادّية، ويلاحظ تركيز العلاج النفسي الإسلامي على توظيف مفاهيم كـ"الصبر" في العملية العلاجية بما يسهم في تحقيق الصحة النفسية للمريض؛ فالصبر مهم في مواجهة المشكلات والصدمات، وكذلك يهتم بتوظيف مفهوم "الدعاء" الذي يُصارع الأقدار ويعيد ترتيب الوقائع بشكل يؤدي إلى توفير بيئة داعمة للصحة النفسية».



يمتلك علم النفس الإسلامي استراتيجيات علاجية يتفرد بها وتميزه عن نظرية التحليل النفسي؛ منها «استراتيجية تبصير الفرد بالسند الإلهي الذي يمكن أن يُحقق الصحة النفسية بتحقيق الأمن النفسي وتمليك الفرد الطاقة اللازمة لمواجهة الحياة حينما تتأزم الأمور، واستراتيجية التناسب الطردي بين الصحة النفسية والإيمان بالله تعالى؛ فإذا بلغ الإنسان بإيمانه درجات الكمال ارتقى إلى أعلى مستويات الصحة النفسية والعكس صحيح، فضلاً عن استراتيجية توظيف الإسلام كإطار مرجعي يحل المسائل "الما ورائية" والتي تشكل مصدراً للصراع الداخلي والقلق الوجودي، كما يعطي العلاج النفسي الإسلامي معنى للحياة ومبررات لتحمل الألم، إضافة إلى استراتيجية إشباع الحاجات الروحية التي تجنب المريض ما يُعرف بـ"الاعتلال الروحي" (Spiritual Malaise) الذي يظهر في شكل عجز قيمي وتبلد أخلاقي ويأس وجودي فيعوق الصحة النفسية، وهناك أيضاً استراتيجية توظيف الدوافع الروحية في تنمية الصحة النفسية؛ باعتبارها دوافع فطرية متجذرة في الذات الإنسانية، وكذلك استراتيجية تحقيق الالتزام الديني التي تؤدي إلى شعور الفرد الملتزم بالطمأنينة والسكينة والتوازن الانفعالي والأمن والسعادة وراحة البال؛ وجميعها تتمثل كركائز للعلاج النفسي الإسلامي.» (عابدين، 2021، ص: 43).

يلاحظ مما تقدم أن التطبيقات العلاجية لنظرية التحليل النفسي تنطوي على فروقات جوهرية مع تطبيقات علم النفس الإسلامي؛ التي تقوم على التأكيد على المكوّن الروحي باعتباره مكوناً أصيلاً في الذات البشرية، وعلى أثر الدين الإيجابي والعميق في النفس البشرية وأهمية توظيفه في علاج أمراضها والتخلص من اضطراباتها، وعلى أن المحرك للسلوك البشري هو الشعور وأن مشكلات النفس البشرية تأتي نتيجة



للممارسات الشعورية على مستوى الوعي؛ ما يستوجب أن تعالج على مستوى الوعي وليس اللاوعي، كما يقرر علم النفس الإسلامي أن إشباع الحاجات الفطرية للبشر يجب أن يتم بالطرق المشروعة فقط، وبذلك فهو "يضبطها" ولا "يلغيها".

2.2.2: الفروق التطبيقية في المجال التربوي:

يشير العمارة (2009، ص: 57) إلى ما ذكره قطب في كتابه "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته": «أن علم النفس الإسلامي فيما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية للأفراد يتعامل مع الواقع وليس مع التصورات العقلية أو المثاليات التي لا مقابل لها في عالم الواقع»، فضلاً عن الإيجابية التي ينظر من خلالها للإنسان باعتباره مسئولاً ومهماً وأنه لم يُخلق عبثاً، ويقول رجب (2009، ص: 51) بأن «غياب المنهج القرآني عن واقع التطبيق العملي في حياة الأفراد والجماعات يؤدي إلى انحراف سلوك الفرد وانتشار الفساد، فمنهج الإسلام يُعد ضابطاً للسلوك لاحتوائه على العقوبات والمعززات ومُوجّهاً له لاحتوائه على مظاهر السلوك الحسن والقيح»، وبذلك فقد قدم الإسلام مبادئ عملية وقابلة للتطبيق في مجال التربية.

وفقاً لعابدين (2021، ص: 43) توجد استراتيجيتين إسلاميتين لتوجيه العملية التربوية وضبطها؛ تتمثل الأولى في «استراتيجية "العقوبات" التي تُعد ضابطاً للسلوك البشري، والثانية هي استراتيجية "الضبط والسيطرة" التي تتيح تقويم الأخلاق والتحكم في السلوك»؛ على خلاف الرؤى التربوية التي تقوم على مبادئ متطرفة، وفي المقابل يلاحظ أن تطبيقات نظرية التحليل النفسي في المجال التربوي لن تقود سوى إلى فشل مخرجات التنشئة الاجتماعية ككل؛ فمن المهم جداً أن نتساءل: ما الذي يفيد المربي من العلم بنظرية التحليل النفسي لتحقيق أهداف التربية؟، ربما لن تقدم نظرية التحليل



النفسي ما يفيد للمجال التربوي؛ وهي تنظر للإنسان نظرة تشاؤمية وتقرر أنه يتحرك بدافع من اللاشعور وهو بذلك غير مسئول عن عواقب أفعاله، كما تؤكد بشدة على أن المحرّك الأساسي لسلوك الفرد هو الدافع الجنسي الذي تدعو لتحريره بلا ضوابط!.

3. تحليل النتائج:

1.3: الفروق النظرية بين نظرية التحليل النفسي وعلم النفس الإسلامي، هي:

- اختلاف رؤية التحليل النفسي مع علم النفس الإسلامي حول حقيقة الدين ودوره في تحقيق الصحة النفسية؛ حيث تنفي التحليل النفسي ذلك الدور.
- يختلف علم النفس الإسلامي مع "المبدأ العقلاني" الذي تقوم عليه نظرية التحليل النفسي؛ والذي يقر بأن العقل في المرتبة الأولى وأنه أعلى من الوحي.
- تتناقى دلالات "اللاشعور" في نظرية التحليل النفسي مع مبادئ علم النفس الإسلامي؛ التي تؤكد على "حرية الاختيار" التي تحركها "الدوافع الشعورية".
- تتضمن نظرية التحليل النفسي مفاهيم نفسية تتناقض دلالاتها مع معايير علم النفس الإسلامي؛ مثل مفهوم الليبدو (Libido).
- نظرة فرويد للجهاز النفسي تركز على مكّونين في الإنسان هما العاطفة والعقل، وهي بذلك لا تتفق مع رؤية الإسلام التي تؤكد بشدة على المكّون الروحي.
- نظرة فرويد للإنسان تتصف بالتشاؤم والسلبية؛ أما علم النفس الإسلامي فيقوم على الإيجابية التي تنظر للإنسان باعتباره يحمل منابع الخير والشر؛ وأنه يمتلك إرادة حرة لتوجيه نفسه نحو السلوك الخيّر أو الشرير.



2.3: الفروق التطبيقية بين نظرية التحليل النفسي وعلم النفس الإسلامي:

1.2.3: الفروق التطبيقية في مجال العلاج النفسي:

- العلاج النفسي وفق نظرية التحليل النفسي يتعامل مع مشكلة المريض النفسي عبر اللاشعور؛ أما علم النفس الإسلامي فيتعامل مع المشكلة النفسية كما هي في الواقع بعيداً عن التصورات العقلية اللاشعورية.
- توجد فروق جوهرية في تطبيقات العلاج النفسي بين نظرية التحليل النفسي وعلم النفس الإسلامي؛ منشأها الفروق في المبادئ النظرية التي ترتبط بالتكوين النفسي للبشر ومكونات النفس وديناميكيتها ودور الدين في تحقيق صحتها.
- يتفرد علم النفس الإسلامي باستراتيجيات علاجية تصنع فارقاً كبيراً بينه وبين إجراءات العلاج النفسي وفق نظرية التحليل النفسي.

2.2.3: الفروق التطبيقية في المجال التربوي:

- يؤكد منهج فرويد التطبيقي في التربية على أن المحرك الأساسي للسلوك هو الدافع الجنسي ويدعو لتحريره بلا ضوابط؛ وهذا ما يتنافى مع التوجّه العام لعلم النفس الإسلامي.
- تأكيد نظرية التحليل النفسي على مسألة اللاشعور بدلالاته الفرويدية والتي تختلف مع مبادئ علم النفس الإسلامي؛ تعمل على إضعاف المخرجات التربوية ونشر الانحلال الأخلاقي وتفشي الجريمة والمشكلات التربوية الأخرى.
- يتفرد علم النفس الإسلامي بتطبيقات تربوية عديدة عند مقارنته بالتحليل النفسي؛ حيث يقدم "نماذج سلوكية" يدعم توظيفها التوجّه الإيجابي للفكر



التربوي، كما يقدم معايير يمكن أن تحتكم إليها التنشئة الاجتماعية، ويمتلك استراتيجيات من شأنهما توجيه العملية التربوية نحو توجهات إيجابية متوازنة.

خاتمة:

يمكن إجمال الحديث حول الفروق النظرية والتطبيقية بين نظرية التحليل النفسي وعلم النفس الإسلامي في أن مبادئ نظرية التحليل النفسي لا تتفق مع معايير الإسلام في رؤيتها للإنسان وسلوكه ودوافعه، كما لا تتماشى مفاهيمها النفسية مع المبادئ الإسلامية التي يستقي منها علم النفس الإسلامي مفاهيمه، وتوجد فروق جوهرية بين تطبيقات نظرية التحليل النفسي وعلم النفس الإسلامي في مجال العلاج النفسي والمجال التربوي؛ انعكاساً لذلك يوصي البحث بتدريس نظرية التحليل النفسي في جامعات العالم الإسلامي مُقتزنةً بالحقائق التي ترتبط بالحدود الفارقة بينها وبين علم النفس الإسلامي، وعدم تطبيق مبادئ نظرية التحليل النفسي في مجال العلاج النفسي والمجال التربوي؛ تبعاً للاختلافات الجوهرية بينها وبين المبادئ التي تستند إليها تطبيقات علم النفس الإسلامي في ذات المجالين؛ حيث أن ضررها أكثر من نفعها بالنسبة للفرد المسلم، ويقترح البحث إجراء بحوث علمية تهدف إلى بحث الفروق النظرية والتطبيقية بين علم النفس الإسلامي والمنطلقات الفكرية الأخرى لعلم النفس المعاصر.

قائمة المراجع:

- أحمد، عبد الباقي دفع الله. (2010). علم النفس "أسسه مبادئه نظرياته". ط2. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر.
- أرنوط، بشرى. (2016). الذكاء الروحي والإرشاد النفسي بين النظرية والتطبيق. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.



- السيد، السيد إبراهيم. (2008). العقل البشري رأس مال. القاهرة: مؤسسة طيبة للطبع والنشر.
- الصبيح، عبد الله. (2011). توظيف التأصيل الإسلامي لعلم النفس في تدريس مقررات علم النفس. مجلة إسلامية المعرفة. 65، 73 – 93.
- العلواني، طه جابر. (1995). العلم الإسلامي على طريق البناء. أم درمان: المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان (مطبعة أم درمان).
- العمارة، محمد حسن. (2009). الفكر التربوي الإسلامي. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- بدري، مالك. (1989). مشكل أخصائي النفس المسلمين. تر: منى كتنباي. الخرطوم: شركة الفارابي للنشر.
- جلال، محمد فؤاد. (2018). مبادئ التحليل النفسي. المملكة المتحدة: مؤسسة هندواي للنشر.
- رجب، مصطفى. (2009). الإعجاز النفسي في القرآن الكريم. كفر الشيخ: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.
- رفاعي، عبد الهادي. (2010). البعد الديني في الشخصية السوية من منظور إسلامي. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- عابدين، تھاني هاشم خليل. (2021). الصحة النفسية الإيجابية من منظور الفكر الإسلامي. مجلة نفسانيات. 72، 35 – 45.
- عاشور، سعيد. (2002). الإنسان في القرآن الكريم. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.



- عثمان، عبد الرحمن أحمد. (2010). علم النفس الإرشادي. الخرطوم: منشورات جامعة السودان المفتوحة.
- فرويد، سيغموند. (1998). مستقبل وهم تر: جورج طرايشي. ط 4. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- ميك، كوبر. (2015). العلاجات النفسية الوجودية تر: طه ربيع طه عدوي، رانيا شعبان الصايم، طلعت منصور. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.